المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات
العدد السادس والثلاثون شهر (٥) ٢٠٢١

المذهب العربي وسماته ومقارنته بالمذهب الغربي

إعداد الباحثة: إلهام غازي سليمان الزعبي

وزارة التربية والتعليم، المملكة الأردنية الهاشمية، مدرسة آمنة بنت وهب الأساسية المختلطة، محافظة اربد

ilham.alzubi@gmail.com

الملخص

إن العرب والمسلمين قدموا للعالم في شتى مجالات العلوم الإنسانية والعلمية ما لم تقدمه أي حضارة أخرى، وفي الوقت الذي كانت أوروبا تغرق في ظلام الجهل والأمية كانت منارات العلم في الأندلس وبغداد ودمشق وقرطاج والقاهرة تنير العالم. إن حضارتنا الإسلامية جمعت بين الأخلاق والمادة، وغذّت الروح والجسد، ولم تقتصر على البناء المادي كالحضارات الأخرى وخاصة الحديثة، فحضارتنا خبت ولم تنطفئ وستنهض بعكس الحضارات الأخرى. ولا عجب من حضارة جعلت طلب العلم فريضة واحترام العلماء واجب ونبذت التعصب والخرافات، وبالتالي فان الحضارة الغربية التي يتفاخر بها الغرب الآن وبعض المستعربين كان ركيزتها الأساسية ما أخذ من الحضارة العربية الإسلامية، ولا ينكر هذا الفضل إلا جاحد. وعلى الرغم من ذلك ظهر الكثير من المنصفين الذين اعترفوا بفضل الحضارة العربية الإسلامية. من هذا المنطلق يعرض هذا البحث دور الحضارة العربية الإسلامية في تقدم العالم الغربي، ومعرفة وبيان ماهية المذهب العربي من وجهة نظر الغربيين والعرب والمسلمين. ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الفروق الواضحة بين المذهب العربي والغربي. ويستنتج هذا البحث أهم سمات المذهب العربي التي تميز بها عن غيره من المذاهب **وجعلت الغرب يقبلون على دراسته والاهتمام به.**

الكلمات المفتاحية: المذهب العربي ، الحضارة الإسلامية ، المذهب الغربي .

Abstract

The Arabs and Muslims presented to the world in the fields of humanities and sciences what no other civilization did, and while Europe was sinking into the darkness of ignorance and illiteracy, the beacons of knowledge in Andalusia, Baghdad, Damascus, Carthage and Cairo were illuminating the world. Our Islamic civilization combined morals and matter, nourished the soul and the body, and was not limited to material construction like the other civilizations, especially modern ones. Therefore, our civilization has faded and has not been extinguished and will rise unlike other civilizations. There is no wonder in an artistic civilization, seeking knowledge is a duty and respect, it is a duty and it rejected fanaticism and superstition, because the Western civilization that the West now boasts about and some Arabists were, the main drawing, what was taken from the Arab civilization, which is only denied by an ungrateful one. In spite of this, there are many fair people who admitted thanks to the Arab-Islamic civilization. From this point of view, this research presents the role of the Arab-Islamic civilization in the progress of the Western world, and the knowledge and clarification of the nature of the Arab school of thought from the viewpoint of Westerners, Arabs and Muslims. This research also aims at highlighting the differences between the Arab and Western schools. This research concludes the most important characteristics of the Arab school by which it distinguished itself from the other schools and made the West accept and study it carefully.

Keywords: Arab school, Islamic civilization, Western school.

1- المقدمة

يحق لنا نحن العرب والمسلمين أن نفتخر بماضينا على الرغم من مآسينا التي نحياها في هذه الأيام والتي نتحمل الجزء الأكبر منها نحن وعلى الرغم من أننا لا نساهم في الحضارة العالمية في هذا العصر ، ولكن يجب أن لا نسمح لليأس أن يتملكنا أو نكتفي بالتغني بأمجادنا في العصور السابقة.

إنّ أُمة نزل عليهم قول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [1] لا يمكن ان تموت أو تندثر أثرها إلى يوم الدين وإن خفّ وهجها.

إن الحضارة الإسلامية التي جاءت بالوحدانية، سمت بالإنسان فوق عبادة أي شئ، فكل البشر عبيد لله الواحد، بلا وسيط ولا معبد له سدنة وله كهنة ، فتحرر الإنسان من كل كبت و قيد يحد من إبداعاته، في نفس الوقت صبغت أصحابها بمكارم الأخلاق ووازنت بين متطلبات الروح والجسد وبين الدين والدنيا .

الحضارة الإسلامية هي حضارة عالمية، دعت إلى المساواة بين البشر فلم تفرق بين جنس وجنس ولا بين عرق وعرق وأن الإنسان هو خير المخلوقات على هذه الأرض، وأنّ جميع الكون مسخر له (أبوحسان، 2009).

إنّ مميزات وخصائص الحضارة الإسلامية لم تتغير ولن تتغير لأنها جزء من الدين الذي لن يتبدل أو يتغير و ستعود يوماً بلا أدنى شك (سباعي، 2018).

لا أحد ينكر أنّ الحضارة الغربية وصلت إلى مرحلة لم تصلها من قبل أية حضارة ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك ولكن يحق لنا نسأل : هل الحضارة الغربية اليوم أشبعت الروح والعاطفة وهل عمّ خيرها على العالم كله شماله وجنوبه وغربه وشرقه؟ ماذا قدّمت لفقراء إفريقيا وغيرهم؟ ولماذا كل هذه الحروب التي يُشعلونها ويُسهمون في حدوثها؟.

وهل حضارة قال أحد حكامها يوماً وهو عمر بن عبد العزيز " ابذروا القمح فوق رؤوس الجبال حتى لا يقال جاع طير في بلاد المسلمين" أن يُنكر أثرها ا وأن تُنسى ؟.

2- مشكلة الدراسة

ليس غريبا أن ينكر الغرب فضل الحضارة العربية الإسلامية ، من منطلق الجهل أو نكران الحقيقة ،والعصبية العمياء ،ولكنّ الغريب أن ينبري بعض أبناء امتنا ويلحقوا يركب الناكرين لفضل الحضارة العربية الإسلامية بدوافع غير مبنية على الحقيقة ومشبوهة بأقلام سامة.

من هذ المنطلق عرض البحث دور الحضارة العربية الإسلامية في تقدم العالم الغربي ،وبنفس الوقت اعتراف المستشرقين الأوربيين بهذا الفضل.

[1] سورة المائدة، آية 3

3- أهداف الدراسة

جاء هذا البحث لمناقشة وتقصي المعلومات التي تؤكد على أهمية المذهب العربي وتؤكد أقوال بعض الغربيين المنصفة ويمكن إجمال الأهداف بما يأتي:-

1. معرفة وبيان ماهية المذهب العربي من وجهة نظر الغربيين والعرب والمسلمين.
2. توضيح أهم صفات وخصائص المذهب العربي التي تميز بها عن غيره من المذاهب وجعلت الغرب يقبلون على دراسته والاهتمام به وخاصة في القرون الوسطى، لأنهم وجدوا فيها ما لم يجدوه في الحضارات الأخرى.
3. تقصي الفروق الواضحة بين المذهب العربي والغربي، والتي جعلت هؤلاء وغيرهم من الغربيين يجزمون بأنّ العرب اخترعوا الغرب.
4. توضيح كيفية إسهام المذهب العربي في ارتقاء الفكر والحضارة الإسلامية بحيث جعلها حضارة متميزة منفردة.
5. تضمين بعض أقوال الغربيين والعرب والمسلمين لتعزيز الأفكار وتوضيحها.
6. إذكاء روح المثابرة والبحث عن الموضوعات المختلفة التي تعمل على زيادة المعرفة والاطلاع على مختلف العلوم التي تهمنا في حياتنا.

4- أهمية الدراسة

إن هذا البحث جزء بسيط من الدراسات والنقاشات الكثيرة التي تطرقت إلى أهمية الحضارة الإسلامية وما قدمته للعالم في شتى مجالات الحياة وماذا خسر العالم بانحطاط الحضارة العربية الإسلامية حيث تم تسليط الضوء على أهمية حضارتنا ودورها الكبير في تقدم الدول الأوروبية، فالمسلمون على علاتهم موئل الانسانية وأمة المستقبل (ندوى، 2009) وباعتراف الكثير من الغرب بذلك وبشكل جلي وواضح (باهلي، 2019).

"وحان الوقت للتحدث عن شعب وأمة قد ارتقى بقوة على مجرى الأحداث العالمية، ويدين له الغرب كما تدين له الإنسانية كافة بالكثير وتعترف المستشرقة «هونكة» بطمس علماء أوروبا الجهود الحضارية للمسلمين، وحين أراد الأوروبيون الاعتراف بدور العرب المسلمين قالوا إنهم أصحاب فضل بثقل كنوز الإغريق والرومان إلى أوروبا كساعي بريد، فأين دورهم الحقيقي في حفاظهم على التراث الحضاري للشعوب القديمة ودراستهم لهذا التراث بعد ترجمته للعربية وعرضه على مقاييس العقل والتجربة وتصحيح أخطائه وأعمال نقصه وقبول صحيحه ومتابعة أبحاثه ودراسته".

وكتب اسماعيل صبورة (2020) في موقع مجلتك:

"كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ... من الكتب النادرة التي أنصفت العرب والمسلمين، فهو شهادة من مستشرقة ألمانية على قدر كبير من العقلانية والحصافة و هو دليل على أن العرب ليسوا ناقلي لحضارات الشعوب الأخرى، مثل الحمار الذي يحمل أسفارًا، فهم يمتلكون عقولًا وإمكانات إبداعية تركت بصمة واضحة وجلية على جدار الحياة".

وأخيرا لا أجد قولا أفضل مما قاله جورج سارتون في كتابه حضارة العرب :
"لقد سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين ظلت الأولى حوالي ألفي عام قبل اليونان وعاشت الثانية طوال أربعة قرون خلال العصور الوسطى وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى في المستقبل القريب أو البعيد " .

5- المذهب العربي

سمعت كثيراً عن كلمة المذهب العربي، ولكن لم أعرف ما معناها ومغزاها ، لقد أدركت وفهمت كل تفاصيلها عندما كبرت، شجرة زرعها كثير من العلماء والأدباء والكتّاب والمفكرين العرب ولم تعرف الأجيال اللاحقة كيفية المحافظة عليها تركوها مهملة، فاستغل الغرب ذلك واعتنوا بها حتى كبرت وجنوا ثمارها الطيبة.

لجأ الغرب ومنهم المستشرق إدلارد إلى استعمال مصطلح "العلم العربي Arabic science" بدلا من "العلم الإسلامي Islamic science"، رغم أن كثيرا من العلماء ليسوا بعرب عرقياً ، لكن كل من ساهم في بناء الحضارة من تُرك وفُرس ومجوس وكرد ونصارى ويهود وإغريق وسريان كتبوا أعمالهم باللغة العربية وبرعاية الحكام ولا سيما الخلفاء الأمويين والعباسيين.

ومع تقديرنا لكل من أشار إلى دور العرب والحضارة العربية، إلا أن أعظم صفات الحضارة الإسلامية تفتخر بالعباقرة والعلماء من جميع الأمم والشعوب الذين بنوا وشاركوا في هذا المجد، ولا عجب في ذلك لان القرآن جاء ليقول" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم "[1].

لقد قامت الثقافة العربية الإسلامية بدورها الطليعي خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية، وأثّر العلماء العرب والمسلمون في النهضة الأوروبية (حمزه، 2020)، وكان طابع الثقافة العربية الإسلامية غالباً وواضحاً ومؤثّراً في العديد من المجالات العلمية والفكرية والثقافية، مثل ابتكار نظام الترقيم والصفر والنظام العشري، ونظرية التطور قبل "داروين" بمئات السنين، والدورة الدموية الصغرى قبل "هارفي" بأربعة قرون، والجاذبية والعلاقة بين الثقل والسرعة والمسافة قبل "نيوتن" بقرون متطاولة.

ويمكن القول إجمالاً أن المذهب العربي كان واسطة العقد بين العلوم والثقافات القديمة وبين النهضة الأوروبية؛ فالحضارات عبارة عن سلسلة متّصلة الحلقات، امتدّت من الحضارات القديمة من مصرية وآشورية وبابلية وصينية، إلى حضارة الإغريق والإسكندرية، وصولاً إلى العصر الإسلامي الذي تأثّر علماؤه بمن تقدّمهم، وأثّروا بدورهم فيمن لحقهم من علماء النهضة الأوروبية الذين قرؤوا أعمال العلماء العرب في كتبهم المترجمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية.

وجد الأوروبيون في التراث العربي الإسلامي تراثاً علميّاً عظيماً، فاشتغلوا بدراسته وتحليله، ولم يكتسبوا المعلومات فقط، بل اكتسبوا العقلية العلمية ذاتَها بكل طابعها التجريبي والاستقرائي عندها عرفوا أنهم وجدوا ضالتهم المنشودة، فعكفوا على ترجمته و نشره وتدريسه في جامعاتهم (هندي، 1992).

[1] سورة الحجرات، آية رقم 13

إن الانبهار بحجم تأثير الثقافة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، وفي الثقافة والعلوم الأوربيّيْن، جعل مفكرةً وعالمةً ألمانيةً هونكه تبين ماهية المذهب العربي ومدى تأثيره وتصدح بهذه الحقيقة بقولها : "إن تلك الحضارة الزاهرة التي غمرت بأشعتها أوروبا عدّة قرون، تجعلنا نعجب أشدّ العجب؛ إذ أنها لم تكن امتداداً حضارياً لبقايا حضارات غابرة، أو لهياكل حضارية محلية ليست على قدر من الأهمية، أو تقليداً يُنسج على منواله المعهود، كما في الحضارات الأخرى ،إن العرب بثقافتهم هم الذين أبدعوا هذه الروعة ومنحت أوروبا في القرون الوسطى مشعل الثقافة جاوز عصر الإغريق الذهبي" (هونكه، 1962).

إذا المذهب العربي هو القفزة السريعة المدهشة والسلم الذي صعد الغرب عليه للوصول إلى بر الأمان بعد أن كان واقفا مذهولا وقد تولاه الفزع يترقب نهاية العالم عما قريب .

6- خصائص المذهب العربي

قطار فاتنا أيها العلماء أيها الناس، اجتهدنا وتعبنا وكنا أمة رائدة، وقائدة في كل مجالات العلوم وكان ذلك سبيلاً مهدناه بأيدينا للغرب ولكن ما النتيجة ؟ هل حققنا ما كنا نسعى إليه؟ أم كنا كخياطة بارعة تتوفر لها جميع مستلزماتها ولم تجد الإبرة التي تخيط وتحيك بها لتخرج فنها وبراعة زينتها؟ ماذا كنا وكيف أصبحنا؟.

أين ذهب العرب ؟ هل كانوا في سباتٍ؟ ولماذا لم يستيقظوا منه ؟ وهل عجزت الأمهات أن يلدن مفكرين ومبدعين، أم الكبت والحرمان عقلن العقول فلا إبداع ولا تجديد وتطوير؟ أم عقولهم ذهبت مع كل هبة ريح وأخفوها تحت أسقف الصمت ؟.

وكما نعلم أن العرب كان لهم صولات وجولات وتجديدات في كل مجالات العلوم وأسسوا مذهبهم الخاص بهم وأخذ عنه الغرب الكثير الكثير و كان الأساس الذي بنوا عليه مجدهم ، ولكن الكثير أنكروا وحاولوا ان يطمسوا دوره في دورة حياة العلم.

أما خصائص مذهبنا العربي فهي خصائص سامية أعطته أهمية كبيرة وعظيمة ومنها:

1. المذهب العربي أسس الحضارة العربية التي قامت على أساس الوحدانية لله الواحد فتحرر الناس من طغيان الأباطرة والأكاسرة ورجال الدين وأعرضت عن كل مظاهر الوثنية من نحت وحفر وتماثيل .
2. المذهب العربي أقام حضارة إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة، وهذه الحضارة مثل عُقد انتظمت فيه جميع عبقريات الشعوب و الأمم فعلماؤنا هم من مختلف الأصول والمنابت.
3. المذهب العربي آمن بالعلم في اصدق أصوله وارتكز على العقيدة في أصفى مبادئها و خاطبت العقل والقلب معاً و أثارت العاطفة والفكر في آن واحد وهذه ميزة لم يشاركه فيها أحد لحد الآن (الجمع بين العنصر المادي والروحي).
4. المذهب العربي قام على التسامح والعدل والرحمة والإنسانية وأنصف الناس قويّهم و ضعيفهم وعرفنا الفضل لأهله شرقيهم وغربيهم .

لقد أفاقت أوروبا على صوت علمائنا وفلاسفتنا يُدرّسون العلوم في المساجد والمدارس في اشبيلية و قرطبة وغرناطة ويتحدثون عن دوران الأرض وكرويتها وحركة الأجرام السماوية فيما كانت عقول الأوروبيون غارقة في الأوهام والخرافات .

وأفاقت أوروبا وصحت عندما بدأت بترجمة كتب العرب وأصبحت تدرس في مدارسهم وجامعاتهم مثل كتاب القانون لابن سينا وكتاب الحاوي للرازي وهما أعظم كتب الطب في ذلك الزمان.

من هنا يعترف كثير من الغربيين المنصفين بأننا كنا أساتذة أوروبا في القرون الوسطى مدة لا تقل عن ستمائة سنة.

وقال العالم الانجليزي إدرلاد: " أدى وصول العلم العربي والفلسفة العربية إلى تحويل الغرب المتخلف إلى قوة علمية وتكنولوجية عظمى ... لقد حول العالم العربي عالم العصور الوسطى تحويلاً فاق الإدراك " .

وتقول المستشرقة الألمانية هونكه (1962):" إن ما قام به العرب المسلمون لهو عمل إنقاذي له أثر كبير في تاريخ العالم ".

ويقول روم لاندو في كتاب (الإسلام والعرب):

" إذا حذفنا العرب من التاريخ بقيت هناك فجوة هائلة في سلسلة الحضارة الإنسانية ، ومن المسلم به اليوم أنه لولا إنقاذ العرب لتراث الفكر الإغريقي وتطوير هذا التراث وتخليصه من الشوائب ، ولولا تسامحهم المنقطع النظير في تلك العصور المتعصبة ، ولولا تمجيدهم للعقل ومناداتهم بحرية الفكر والعقيدة لتأخرت النهضة في أوربا أجيالا . فالعرب هم أساتذة في جميع فروع المعرفة " (لاندو، 1962).

لكن هذا الدور الذي لعبه العرب تم تناسيه تدريجيا، وبدأ وسمهم بالتخلف وعدم القدرة على إنجاز شيء مفيد للحضارة، وانتشرت نظرية "استرجاع الغرب للعلم الكلاسيكي من اليونان"، بمعنى أن مكان الحضارة الطبيعي هو أوروبا، لكنها لم تجد مكانها الصحيح في العصور الوسطى، ثم قامت أوروبا الحديثة باسترجاعها ونحن نقول ان القرآن الكريم أكد هذا الكره للعرب والمسلمين في قوله تعالى"ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم"[1].

وهذا يعني أن مفكرو الغرب تعمدوا تهميش دور المذهب العربي وقالوا أن العرب لطفاء وكرماء لكنهم كانوا علمياً ناظرين حياديين للمعرفة اليونانية ولم يفعلوا شيئاً يذكر لتطوير عمل من سبقهم.

صراحة كنا مهندسين لا مبالين بنينا أسس وقواعد متينة وراسخة ولكن لم نعرف كيفية المحافظة عليها من الزوال والانهيار والفناء... وبسبب ذلك يظهر الغربي فجأة وبحنكته استغل ذكاءنا وكنزنا وحوله إلى مصلحته ومصلحة الغربيين على العموم.

هل راودتكم أسئلة مثلما راودتني في هذه اللحظة ؟

ما الأسباب التي أدت إلى انهيار حضارتنا ؟

ما السبل التي تعيدنا لبناء حضارة إنسانية ؟

هل الحضارة الغربية بنت الروح مثل بنائها للمادة؟

[1] سورة البقرة، آية 120.

ان الغاية من الحضارة – أية حضارة – ان تقرب الإنسان من ذروة السعادة فأيهما قرب الإنسان من هذه الغاية حضارتنا أم حضارة الغرب الذي قسم العالم الى سادة وعبيد، غني وفقير ظالم ومظلوم جائع ومتخم ؟

7- الفوارق بين المذهب العربي والغربي

بعد مضي قرون على سقوط روما تحولت أوروبا إلى مكان خلفي منعزل وجاهل، لا يقرأ ولا يكتب إلا قليلا، غارقا في صراع عنيف ، عالم يزرع ليعيش. في هذه الأثناء كانت الحضارة العربية تزدهر، وتبهر أولئك الأوروبيين المحظوظين الذين ألقوا نظرة خاطفة - مجرد نظرة- على التقدم العلمي الآتي من بغداد أو إنطاكية أو مدن فارس وآسيا الوسطى والأندلس كان الفلاسفة وعلماء الرياضيات والفلك العرب والمسلمون يدفعون باطراد حدود المعرفة ويحيون أعمال أرسطو وأفلاطون.

كان العرب والمسلمون سادة العالم وقادة مسيرة تحرير العقل من سيطرة الخرافة فقد أزاحوا اللجام عن حرية العقل لتصبح بغداد ومكتبتها "بيت الحكمة" التي أسسها الخليفة العباسي هارون الرشيد في بغداد، والتي عمل جيش من العلماء بأمر منه ومن الخلفاء بعده, خاصة ابنه المأمون لتحتضن أشهر بيت للعلم في التاريخ وكانت بمثابة البوابة التاريخية التي صهرت العلم في ذلك الزمن في قالب عربي، حاضنة أربعمائة ألف مجلد بينما كانت أفضل مجموعات الكتب في أوروبا لا تتعدى بضع عشرات من المجلدات.

وهناك فروق واضحة بين المذهب العربي الذي كان يقوم على التقدم الحضاري والاستنارة الفكرية بينما كانت حالة الجهل والتخلف والظلام مخيمة على أوروبا وهذا ما جعل إدلارد يردد دائما :"العرب هم أساتذتي" وكانت أعظم انجازاته تكمن في إدراكه الفطري للتعاليم العربية التي كانت شرارة الانطلاق للوعي الأوروبي الحديث، وقد كانت تحتوي مخطوطاته على عبارات"من قبل أساتذتي العرب" من باب الإجلال لتلك الحضارة العظيمة .

وأول ما تعلمته أوروبا من العرب هو فن قياس الوقت، وهو مفتاح تطور التكنولوجيا يقول الكاتب ليونز(2013): "من دون الضبط الدقيق للوقت والتقويم ما كان للتنظيم العقلاني للمجتمع أن يتصور" .

هكذا تطورت العلوم والتكنولوجيا والصناعة، وتحرر الإنسان من عبوديته للطبيعة، وقد اعترف الكثير من الكتاب أنه من المستحيل تصور الحضارة الغربية من دون ثمار العلم العربي مثل فن الجبر للخوارزمي، أو التعاليم الطبية والفلسفية الشاملة لابن سينا، أو علم الجغرافيا وفن رسم الخرائط للإدريسي ، أو العقلانية الصارمة لابن رشد المستمرة إلى اليوم، بل الأهم من عمل أي شخص كانت المساهمة الإجمالية للعرب، تلك التي تقع في صميم الغرب المعاصر، أي إدراك أن العلم يمكن أن يمنح الإنسان القدرة على تسخير الطبيعة.

كانت أوروبا تغرق في الظلام في ذلك الوقت، فهي لا تعرف مبادئ الحساب وبالكاد دخل المعداد من الأندلس قبل سنوات قليلة وعجزت أعظم العقول عن استخدام الصفر وبالمقابل كان قد شاع استخدام الأرقام العربية في أوروبا، وانتشرت في الغرب المصطلحات التجارية العربية والفارسية كالشيك cheek، والتعرفة وtariff، والحركة traffic، والترسانة arsenal.

وقد عرف العرب في بغداد صناعة الورق، وأول مصنع له كان عام 795م مما أدى إلى ازدهار النتاج العلمي في حين كانت أوروبا تعتمد الكتابة على جلود الحيوانات.

وأنشأ هارون الرشيد مكتبة ضخمة سماها "بيت الحكمة" ضمت كل علوم ومعارف العالم وتفرغ فيها علماء للبحث العلمي وأجريت منها أرزاق كثيرة لتمويل المعرفة.

كما ترجم العرب كل كتب العلم والفلسفة اليونانية، وحلت العربية مكان اليونانية لغة للبحث العلمي، وغدا التعليم العالي أكثر فأكثر تنظيما في أوائل القرن التاسع، وكان في أغلب المدن الإسلامية جامعة من نوع ما .

في هذا الوقت كان الرحالة إدلارد متقنا للعربية تماما، واستقر في إنطاكية التي كانت مركزا لترجمة علوم العرب إلى اللاتينية، ولا سيما في حقل الطب، وكان مهتما بالفلك والكيمياء وعلم الهندسة، وفي إنطاكية ترجم العالم الإيطالي ستيفن أوف بيزا موسوعة طبية هي الكتاب الملكي لعلي بن العباس المجوسي.

ويجزم العديد من الكتاب أن العرب اخترعوا الغرب، فالعلم الغربي في ذلك الوقت "كان نقلا مباشرا هائلا إلى الغرب المسيحي - قد يقول البعض سرقة ثقافية كبيرة من ذلك الغرب- للمعرفة والتكنولوجيا العربية التي لا تقدر بثمن" (عقاد، 2013).

8- مساهمة المذهب العربي في الفكر ةالحضارة الاسلامية

كان العرب العنصر الأول والأساس الذي حمل لواء الإسلام ونشر الدين خارج بلادهم لتوصيله لشعوب الدنيا بفروسية منقطعة النظير وبأخلاق صقلها الإسلام وجعل منهم أعجوبة في المعاملة والأخلاق والتسامح فانتشر الإسلام في طول البلاد وعرضها عندما قارن أهلها عدل العرب المسلمين بمن كانوا تحت حكمهم من الروم والفرس وغيرهم.

إنّ العرب – حاملو لواء الإسلام – جعل منهم الإسلام رسل حضارة وأعلنوا وهم يجوبون الأرض أنهم يهدفون إلى بناء الأرض وعمارتها وليس دعاة طمس هوية الآخرين، هم من دخلوا القدس فلم يهدموا كنيسة ولا غيرها حتى أنّ الخليفة عمر رضي الله عنه لم يُصلّ في الكنيسة عندما حان وقتها وهو فيها حتى لا تتخذ مسجداً بعد ذلك، والشواهد من التاريخ غيرها كثيرة.

إنّ العرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم لا يُقننون، ولا يُشرّعون من عند أنفسهم لأنّ الله جعل لهم نوراً يمشون به بين الناس وهو القرآن، وهم لم يتولّوا الحكم بغير تربية خلقية وتزكية نفس بل لبثوا طويلاً تحت تربية سيدنا محمد - ﷺ- وإشرافه الدقيق يربيهم ويعدّهم بناة حضارة.

لم يكن العرب خدمة جنس ورسل شعب أو وطن يسعون لرفاهيته، ويؤمنون بفضله وشرفه على جميع الشعوب ولم يخرجوا ليؤسسوا إمبراطورية عربية يرتعون فيها ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب، إنما أرسلوا ليخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وإلى الحرية بدلاً من الاستعباد كما قال عمر رضي الله عنه "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

و"اللغة العربية اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون لغة القرآن الكريم ومن ثم صُبّت الحضارة الإسلامية في وعاء اللغة العربية، والى هذه اللغة ترجمت معارف البشرية وتجاربها القديمة، وعنها نقلت الحضارة والثقافة الإسلامية إلى الشعوب الأخرى" (عقاد، 2018).

إذا اللغة العربية تمثل الأداة التي عبّرت بها الحضارة عن نفسها، وقد استطاعت أن تنتصر في جميع البلاد التي فتحها العرب فحلّت محل اللغات القديمة كاليونانية والقبطية وغيرها.

إنّ التراث العلمي العربي في ظل الحضارة العربية الإسلامية الممتدة من القرن الثامن الميلادي وحتى القرن السادس عشر للميلاد، غني جداً لدرجة أنه كان يتحتم على الإنسان المثقف الذي يريد الإلمام بكل جوانب علوم عصره أن يتعلم اللغة العربية وقد قال المؤرخ والفيلسوف جورج سارتون في كتابه تاريخ العلم:" إنّ علماء الإسلام والعرب عباقرة القرون الوسطى ، وتراثهم من أعظم مآثر الإنسانية، إنّ الحضارة العربية الإسلامية كان لا بد من قيامها، وقد قام العرب بدورهم في تقدم الفكر وتطوره بأقصى حماسة وفهم، وهم لم يكونوا مجرد ناقلين كما قال بعض المؤرخين بل إنّ في نقلهم روحاً وحياة، فبعد أن أطّلع العرب على ما أنتجته قرائح القدماء في سائر ميادين المعرفة نقّحوه وشرّحوه وأضافوا إليه إضافات هامة أساسية تدل على الفهم الصحيح وقوة الابتكار" (سارتون، 1991).

وقد اتصف العلم العربي بشكل عام بميزات عظيمة منها الشمولية والتنوع والتجريد والانفتاح على العلوم الأخرى والاعتراف بما قدمه السابقون أي الأمانة العلمية. ونورد قول الرازي حيث قال: "كدح السابقون فبنينا على ما حققوه وارتفعنا على أكتافهم وكدحنا وسيبني الآتون على ما حققناه وسيرتفعون على أكتافنا". وللمقارنة نذكر بقول اسحق نيوتن: "إن كنت رأيت البعيد فلأني قد وقفت على أكتاف عمالقة".

إنّ الإسلام الذي حمل لواءه العرب وجاء القرآن بلسانهم بنى حضارة ليست لجنس معين ولا حضارة قومية تنتمي إلى قوم مخصوصين، ولكنها حضارة جامعة شاملة للأجناس والقوميات جميعا التي كان لها نصيب في قيام هذه الحضارة، ودورها في ازدهارها وتألقها، وفي امتداد تأثيرها ونفوذها إلى العالم .

فالحضارة الإسلامية بهذا المفهوم الجامع الشامل العميق، هي إرث مشترك بين جميع الشعوب والأمم التي انضوت تحت لوائها، وشاركت في بنائها، وأسهمت في عطائها.

إنها حضارة إيمانية، انبثقت من العقيدة الإسلامية، فاستوعبت مضامينها وتشربت مبادئها واصطبغت بصبغتها، فهي حضارة توحيدية انطلقت من الإيمان باللّه الواحد الأحد، كان الدين الحنيف من أقوى الدوافع إلى قيامها وإبداعها وازدهارها.

إذاً أسهم المذهب العربي في تطور الحضارة العربية والإسلامية حيث جعلها حضارة إنسانية المنزع عالمية في آفاقها وامتداداتها، لا ترتبط بإقليم جغرافي،ولا بجنس بشري، ولا بمرحلة تاريخية، ولكنها تحتوي جميع الشعوب والأمم، وتصل آثارها إلى مختلف البقاع و الأصقاع، فهي حضارة يستظل بظلالها البشر جميعا، ويجني ثمارها كلُّ من يصل إليه عطاؤها،فالحضارة الإسلامية قامت على أساس الاعتقاد بأن الإنسان أهم مخلوقات الله، وأن جميع الأنشطة البشرية لابد أن تؤدي إلى سعادته ورفاهيته، وأن كلَّ عمل يقصد به تحقيق هذه الغاية، هو عملٌ في سبيل الله.

ثم أصبحت حضارتنا حضارة معطاء؛ أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية التي عرفتها شعوب العالم القديم، وأعطت عطاء زاخرا بالعلم والمعرفة والفن الإنساني الراقي وبقيم الخير والعدل والمساواة والفضيلة والجمال، وكان عطاؤها لفائدة الإنسانية جمعاء، لا فرق بين عربي وأعجمي، أو أبيض وأسود، بل لا فرق بين مسلم وغير مسلم، سواء أكان من أتباع الديانات السماوية والوضعية، أم ممن لا دين لهم من أقوام شتّى كانوا يعيشون في ظل الحضارة الإسلامية وهي حضارة متوازنة وازنت بين الجانب المادي والجانب الروحي وحضارة باقية بقاء الحياة على وجه الأرض، تستمد بقاءها من الإسلام الذي قامت على أساس مبادئه، وهي بذلك "حضارة لا تشيخ لتنقرض، لأنها ليست حضارة قومية، ولا هي بعنصرية، ولا هي ضد الفطرة الإنسانية" (تويجري، 2003).

9- آراء أنصفت المذهب العربي

لا يخلوا أيّ زمان من المنصفين الذين أنصفوا الحضارة العربية الإسلامية وما وصلت إليه من رقي وتطور وقالوا فيها الكثير وسنقتبس اليسير من أقوالهم .

- **يقول جوتيه[1]:**

"إنّ الشريف الإدريسي الجغرافي كان أستاذ الجغرافيا الذي علّم أوروبا هذا العلم لا بطليموس، ودام معلماً لها مدة ثلاثة قرون، ولم يكن لأوروبا مصور للعالم إلاّ ورسمه الإدريسي وهو خلاصة علوم العرب في هذا الفن، ولم يقع الإدريسي في الأغلاط التي وقع فيها بطليموس في هذا الباب".

- **يقول جوستاف لوبون[2]:**

"كان تأثير العرب في عامة الأقطار التي احتلوها عظيماً جداً في الحضارة".

- **نقتبس من كتاب "الإسلام والحضارة العربية" لكاتبه محمد كرد علي (2020) أن لوبون قال:**

" منذ عهد روميه كان المسلمون من الشعوب الوحيدة التي كانت حاملة علم التمدن حقيقة ... وان الجامعات الأوروبية عاشت ستمائة عام من مترجمات كتبهم وجرت على أساليبهم في البحث وكانت المدنية العربية من ادهش ما عرف التاريخ وان العرب هممن مدنوا اوروبا في المادة والعقل والخلق"

- **قال ويل ديورانت[3] في كتابه "عصر الإيمان" (The Age of Faith):**

"إنّ المسلمين قد ساهموا مساهمة فعالة في كل المجالات، وكان ابن سينا من أكبر العلماء في الطب، والرازي أعظم الأطباء، والبيروني أعظم الجغرافيين، وابن الهيثم أكبر علماء البصريات، وابن جبير أشهر الكيميائيين" (ديورانت، 2011).

- **قال ديورانت في هذا الشأن أيضاً :**

"عندما تقدّم (روجر بيكو[4] Roger Bacon) بنظريته في أوروبا بعد 500 عام من ابن جبير، قال إنه مَدينٌ بعلمه إلى المغاربة في إسبانيا الذين أخذوا علمهم من المسلمين في الشرق. وعندما ظهر النوابغ والعلماء في عصر النهضة الأوروبية، فإن نبوغهم وتقدّمهم كانا راجعين إلى أنهم وقفوا على أكتاف العمالقة من العالم الإسلامي".

1- تيوفل جوتيه (اغسطس 30, 1811 – أكتوبر 23, 1872) شاعر و روائي فرنسي و كاتب مسرحي رومانسي و صحفي و ناقد أدبي.

2 غوستاف لوبون 1841-- 1931 طبيب، ومؤرخ فرنسي، عني بالحضارة الشرقية. و هو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية.

3 ويليام جيمس ديورانت (William James Durant) :من 1885 إلى 1981 فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركته زوجته أريل ديورانت في تأليفه.

4 روجر بيكون Roger Bacon: حوالي 1214–1294 فيلسوف انجليزي و باحث طبيعي ، شغف بالعلوم الطبيعية و كان يعمل تجارب و مشاهدات للظواهر الطبيعية.

▪ **يقول جورج سارتون[1] عن اللغة العربية وعالميتها، ودورها فى الحضارة الاسلامية:**

" حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر فى القرون الوسطى , وكانت اللغة العربية أعظم اللغات خلال هذه العصور فلقد كتبت بها المؤلفات القيمة شديدة الأصالة وكان على أي باحث يريد أن يلمّ بثقافة العصر أن يتعلم اللغة العربية , ولقد فعل ذلك الكثير من غير العرب "

▪ **المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون فى كتاب حضارة العرب عالمية الحضارة الإسلامية فيقول:**

" لم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم؛ فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهما مدينان لهم في تمدنهم، وإنّ هذا التأثير خاص بهم وحدهم؛ فهم الذين هذّبوا بتأثيرهم الخلقي البرابرة (الصليبيين) "

▪ **يقول توينبى[2] في كتابه دراسة التاريخ متحدثا عن طريقة انتقال الحضارة الاسلامية إلى أوروبا فيقول:**

"وفى عالم الفكر كانت فتوحات الصليبيين الموقوتة فى الشام, وفتوحاتهم الدائمة فى صقلية والاندلس محطات إرسال متعددة أمكن عن طريقها نقل كنوز عالم الشرق المتحضر إلى العالم المسيحى الغربى , وفى مقدمة ما نقله الغرب التسامح الدينى والعلوم الإنسانية التي أسرت قلوب الغربيين , ولم يستطع الغرب أن يهضم كل ما كان لدى الشرق من قيم ونظم"

▪ **يقول المؤرخُ الفرنسيُّ الشهير سديو[3]:**

"لقد كان العرب والمسلمون -بما قاموا به من ابتكارات علمية- ممن أرْسَوا أركان الحضارة والمعارف، ناهيك عما لهم من إنتاج، وجهود علمية، في ميادين علوم الطب، والفلك، والتاريخ الطبيعي والكيمياء والصيدَلَة وعلوم النبات والاقتصاد الزراعي وغير ذلك من أنواع العلوم التي ورِثناها نحن الأوروبيين عنهم، وبحقٍّ كانوا هم معلمينا والأساتذة لنا."

▪ **يقول المستشرق الانجليزى توماس ارنولد[4]:**

" كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر، فتبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوربا في القرون الوسطى "

---

1 جورج سارتون George Sarton : صيدلي ومؤرخ بلجيكي يعتبر مؤسس علم تاريخ العلوم.

2 أرنولد جوزف توينبي ولد في 14 أبريل 1889 في لندن وتوفي في 22 أكتوبر 1975. أهم أعماله " دراسة للتاريخ" وهو من أشهر المؤرخين في القرن العشرين.

3 لويس سديو(1808– 1875 م) هو مستشرق فرنسي، صاحب كتاب «Histoire des Arabes» وسماه (خلاصة تاريخ العرب)

4 توماس وولكر آرنولد (Thomas Walker Arnold) : مواليد 1864– وفيات 1930 مستشرق بريطاني شهير.

▪ **يتحسر اناتول فرانس[1] على تدهور الحضارة الاسلامية فيقول :**

" إنّ أشأم يوم فى التاريخ هو يوم معركة بواتيه[2] فى فرنسا حين تقهقرت العلوم والفنون و الحضارة الاسلامية أمام بربرية الفرنجة."

▪ **يقول العالم الصينى لى قوان فبين[3] :**

"الحضارة الإسلامية من أقوى حضارات الأرض، وهي قادرة على اجتياز أي عقبات تواجهها؛ لأنها حضارة إنسانية الطابع، عالمية الأداء، رفيعة القدر علميًّا وفكريًّا وثقافيًّا والحضارة الإسلامية تحمل عوامل البقاء، لأنها عصية على الهدم، لتوافر أركان التجدد والحيوية في نبضها المتدفق، وهي من أقوى حضارات الأرض قاطبة؛ لأنها تستوعب كل ما هو مفيد من الآخر وتصهَره في نفسها ليصبح من أبنائها، بخلاف الحضارة الغربية المعاصرة، كما أن الحضارة العربية الإسلامية تتسم بأنها عالمية الأداء والرسالة، إنسانية الطابع، جوهرها نقي ومتسامح."

10- توصيات الدراسة

1- ضرورة ترسيخ أهمية ودور المذهب العربي في الأجيال الحالية والقادمة من خلال تسليط الضوء على هذا الدور من قبل صناع القرار في وزارة التربية والتعليم والتعليم العالي.
2- عمل محاضرات وورش عمل وندوات متخصصة والتي من شأنها تعريف المجتمعات باهمية المذهب العربي ودوره الهام في الحضارة العربية والغربية على حد سواء.
3- تكثيف الدراسات البحثية والتطبيقية الموجهة لإبراز أهمية المذهب العربي في نهظة الحضارة الغربية، وعمل دراسات مقارنة على مستوى العلوم والآداب وغيرها من المعارف.
4- عمل دليل شامل مكتوب ورقياً والكترونياً ليكون منارةً ومرجعاً لمن يقصد التعرف على المذهب العربي ودور العرب في تطور الحضارات الإنسانية وثقافاتها وعلومها. ويمكن أن يتبنى هذا الدليل مؤسسات ومنظمات متخصصة في الدراسات الإنسانية والعلوم والثقافة.
5- ضرورة توحيد الخطاب العربي الموجه إلى الغرب بما يتعلق بمبادئ المذهب العربي والحضارة الإسلامية ليكون مذهباً عالمياً جوهره نقي وغايته نبيلة وطابعه إنساني وشمولي ومرن.
6- التأكيد على مواكبة العلوم والثقافات المختلفة والإستفادة منها في تحسين وتجويد أسس وطرائق المذهب العربي وبما يتوافق مع مبادئه الراسخة ويحافظ على شموليته ودقته وأصالته.

1 اناتول فرانس هو روائي وناقد فرنسي ولد في باريس في 16 أبريل 1844 وتوفي في 12 أكتوبر 1924. حصل على جائزة نوبل في الأدب لسنة 1921 لمجموع أعماله.

2 معركة بواتيه :وقعت في القرن الثامن الميلادي بين المسلمين والفرنجة وتسمى في التاريخ العربي بلاط الشهداء.

3 "لي قوان فبين" مستعرب صيني وكيل وزارة الخارجية الصينية، وعضو مجمع الخالدين (اللغة العربية) بالقاهرة.

11- الخلاصة

بعد الانتهاء من البحث والتقصّي حول المذهب العربي والمذهب الغربي، تمّ التوصّل إلى ما يأتي:-

1- المذهب العربي مفخرة لأنه قام بدوره الطليعي خير قيام في بناء النهضة العلمية العالمية وهو من حفظ التراث العلمي القديم من الضياع بعد أن ترجمه وبنى عليه.
2- المذهب العربي خاطب العقل والقلب معاً و أثار العاطفة والفكر في آن واحد وهذه ميزة لم يشاركه فيها أحد لحد الآن (الجمع بين العنصر المادي والروحي) فهو بنى الإنسان أولاً والذي هو المخترع والمهندس والعالم والطبيب والفلكي...الخ.
3- وجود العديد من المستشرقين المنصفين الذين اعترفوا بفضل العرب في تقدم أوروبا ومنهم إدلارد غوستاف لويون و جورج سارتون وغيرهم .
4- إن العالم الغربي في العصر الحديث وصل إلى مرحلة عظيمة من التقدم والعلم ولكن من وجهة نظري الشخصية هي حضارة مادية لم يقابلها بناء روحي إنساني كما كان بناة الحضارة العربية الإسلامية .
5- إنّ العالم خسر بأفول الحضارة الإسلامية الكثير من قيم التسامح والمحبة والتكافل الاجتماعي الإنساني .
6- انّ الحضارة الإسلامية لن تندثر وإن خف وهيجها وسيشع نورها يوماً ما لأن المادية التي تقود العالم لم تفلح في بناء الإنسانية ، فكم هناك من جائع ومشرد ومظلوم في الجانب الآخر المظلم من هذه الحضارة وحتى عند أصحابها وأبنائها هناك فراغ روحي عاطفي قاتل.

قائمة المراجع

- أبو حسان، محمد. (2009). دور الحضارة العربية الإسلامية في تكوين الحضارة الغربية. الناشر وزارة الثقافة، مطبعة السفيرة.
- باهلي، محمد. (2019). الدور الإنساني للحضارة الإسلامية. صحيفة الاتحاد.
- تويجري، عبد العزيز بن عثمان. (2003). خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).
- حمزة، محمود. (2020). دراسة إسهامات العلماء العرب والمسلمين في تقدم الحضارة الإنسانية.
- ديورانت، ويل. (2011). عصر الإيمان: قصة الحضارة. الإصدار الرابع، دار وليام وشتر.
- سارتون، جورج. (1991). تاريخ العلم. ترجمة ونشر دار المعارف.
- سباعي، مصطفى. (2018). من روائع حضارتنا. دار الوراق للنشر والتوزيع المكتب الإسلامي.
- صبورة، اسماعيل. (2020). موقع مجلتك، كتاب شمس العرب تسطع على الغرب: نظرة جديدة وتلخيص للكتاب، https://www.magltk.com/lesoleildallahbrille-sur-loccident/
- عقاد، عباس محمود. (2013). الإسلام والحضارة الإنسانية. منشورات المكتبة العصرية، ص 217.
- عقاد، عباس محمود. (2005). أثر العرب في الحضارة الأوروبية. الطبعة الثانية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- علي، محمد كرد. (2020). الإسلام والحضارة العربية. دار الكتب العلمية.
- لاندو، روم. (1962). الإسلام والعرب. ترجمة منير بعلبكي ص 246.
- ليونز، جوناثان. (2013). بيت الحكمة : فضل العرب على حضارة الغرب. عرض ومناقشة: محمد الخولي، الدار العربية للعلوم ناشرون.
- ندوى، السيد أبي الحسن علي الحسيني. (2009). ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟. دار المعارف.
- هندي، صالح ذياب. (1992). دراسات في الثقافة الإسلامية. طبعة 6 ،عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع.
- هونكه، زيغريد. (1962). شمس العرب تسطع على الغرب. دار الآفاق الجديدة، بيروت.